

ونهاراً، وسراً وجهاراً، فلم يزددهم ذلك إلا عناداً وطغياناً، وقدحاً في نبيهم، ولهذا قال هنا: ﴿فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون﴾ لزعمهم أن ما هم عليه وآباؤهم من الشرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل، وأن ما جاء به نوح عليه الصلاة والسلام جهل وضلال، لا يصدر إلا من المجانين، وكذبوا في ذلك، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعاً وعقلاً، فإن ما جاء به هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول النيرة المستقيمة، إلى الهدى والنور والرشد، وما هم عليه جهل وضلال مبين، [وقوله]: ﴿وازدجر﴾ أي: زجره قومه وعنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى، فلم يكفهم - قبحهم الله - عدم الإيمان به، ولا تكذيبهم إياه، حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، وهكذا جميع أعداء الرسل، هذه حالهم مع أنبيائهم، فعند ذلك دعا نوح ربه [فقال]: ﴿أي مغلوب﴾ لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم، ﴿فانتصر﴾ اللهم لي منهم، وقال في الآية الأخرى: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ الآيات، فأجاب الله سؤاله، وانتصر له من قومه، قال تعالى: ﴿فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ وفتحنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ تجري بأعيننا جزء لمن كان كفر ﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾ فكيف كان عذابي ونذر ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ لما ذكر تبارك وتعالى حال المكذبن لرسوله، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئاً، أنذرهم وخوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسول، وكيف أهلكتهم الله وأحل بهم عقابه.

فذكر قوم نوح، أول رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فامتنعوا من ترك الشرك وقالوا: ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سراعاً﴾ ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴿ولم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلاً

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا

﴿فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون﴾ لزعمهم أن ما هم عليه وآباؤهم من الشرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل، وأن ما جاء به نوح عليه الصلاة والسلام جهل وضلال، لا يصدر إلا من المجانين، وكذبوا في ذلك، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعاً وعقلاً، فإن ما جاء به هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول النيرة المستقيمة، إلى الهدى والنور والرشد، وما هم عليه جهل وضلال مبين، [وقوله]: ﴿وازدجر﴾ أي: زجره قومه وعنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى، فلم يكفهم - قبحهم الله - عدم الإيمان به، ولا تكذيبهم إياه، حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، وهكذا جميع أعداء الرسل، هذه حالهم مع أنبيائهم، فعند ذلك دعا نوح ربه [فقال]: ﴿أي مغلوب﴾ لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم، ﴿فانتصر﴾ اللهم لي منهم، وقال في الآية الأخرى: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ الآيات، فأجاب الله سؤاله، وانتصر له من قومه، قال تعالى: ﴿فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ وفتحنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ تجري بأعيننا جزء لمن كان كفر ﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾ فكيف كان عذابي ونذر ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ لما ذكر تبارك وتعالى حال المكذبن لرسوله، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئاً، أنذرهم وخوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسول، وكيف أهلكتهم الله وأحل بهم عقابه.

﴿فالتقى الماء﴾ أي: ماء السماء والأرض ﴿على أسر﴾ من الله له بذلك، ﴿قد قدر﴾ أي: قد كتبه الله في الأزل وقضاه، عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين، ﴿وحملناه على ذات

(٣) في ب: ولا صده عن ذلك صاد.

(٤) في ب: لرسوله.

(٥) في ب: فهل من متذكر.



[مفهوم ذلك أنه يسير سهل على المؤمنين] (١)

﴿١٧-١٩﴾ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعاه ربه أي مغلوب فانتصر * فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفتحنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * لما ذكر تبارك وتعالى حال المكذبن لرسوله، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئاً، أنذرهم وخوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسول، وكيف أهلكتهم الله وأحل بهم عقابه.

فذكر قوم نوح، أول رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فامتنعوا من ترك الشرك وقالوا: ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سراعاً﴾ ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴿ولم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلاً

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا

(١) زيادة من هامش: ب.

(٢) كذا في ب، وفي أ: وشدت

أسرها.

من العبير ما لم يشهد عليه أحداً غيرهم^(٣)، فكذبوا بآيات الله كلها، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فأغرقهم في اليم هو وجنوده^(٤).

والمراد من ذكر هذه القصص تحذير [الناس] المكذبين لمحمد ﷺ، ولهذا قال: ﴿أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ﴾ أي: هؤلاء الذين كذبوا أفضل الرسل، خير من أولئك المكذبين، الذين ذكر الله هلاكهم وما جرى عليهم؟ فإن كانوا خيراً منهم، أمكن أن ينجوا من العذاب، ولم يصبهم ما أصاب أولئك الأشرار، وليس الأمر كذلك، فإنهم إن لم يكونوا شراً منهم، فليسوا بخير منهم، ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزَّبِيرِ﴾ أي: أم أعطاكم الله عهداً وميثاقاً في الكتب التي أنزلها على الأنبياء، فتعتقدون حينئذ أنكم الناجون بإخبار الله ووعده؟ وهذا غير واقع، بل غير ممكن عقلاً وشرعاً، أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية المتضمنة للعدل والحكمة، فليس من الحكمة نجاة أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين، لأفضل الرسل وأكرمهم على الله، فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها، فأخبر تعالى أنهم يقولون: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ قال تعالى مبيناً لضعفهم، وأنهم مهزومون: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبِيرَ﴾ فوقع كما أخبر، هزم الله جمعهم الأكبر يوم بدر، وقتل من^(٥) صناديدهم وكبرائهم ما ذلوا به^(٦)، ونصر الله دينه ونبيه وحزبه المؤمنين. ومع ذلك، فلهم موعد يجمع به أولهم وآخرهم، ومن أصيب في الدنيا منهم، ومن متع بلذاته، ولهذا قال: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدِهِمْ﴾ الذي يجازون به، ويؤخذ منهم الحق بالقسط، ﴿وَالسَّاعَةِ أَهْمَى وَأَمْرٌ﴾ أي:

عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، فكذبوه واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاؤوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط، جاؤوهم^(١) مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراوده عنهم، فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم بجناحه، وأندرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته ﴿فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴿قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطاً وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له.

﴿٤١ - ٥٥﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر * أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبير * أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبير * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر * إن المجرمين في ضلال وسمر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر * ولقد أهلكتنا أشياعكم فهل من مذكر * وكل شيء فعلوه في الزبير * وكل صغير وكبير مستطر * إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر * أي: ﴿ولقد جاء آل فرعون﴾ أي: فرعون وقومه ﴿النذر﴾ فأرسل الله إليهم موسى الكليم، وأيده بالآيات الباهرات، والمعجزات القاهرة^(٢)، وأشهدهم



ليس بقسمة له.

﴿فنادوا أصحابهم﴾ الذي باشر عقرها، الذي هو أشقى القبيلة ﴿فتعاطى﴾ أي: انقاد لما أمره به من عقرها ﴿فمقر﴾ فكيف كان عذابي ونذر ﴿كان أشد عذاب، أرسل الله عليهم صيحة ورجفة أهلكتهم عن آخرهم، ونجى الله صالحاً ومن آمن معه،﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر.

﴿٣٣ - ٤٠﴾ ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيتاهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذاب ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر * فذوقوا عذاب ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر * أي: ﴿كذبت قوم لوط﴾ لوطاً عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم

(١) في ب: جاءوا.

(٢) في ب: بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات.

(٣) في ب: ما لم يشهد غيرهم.

(٤) في ب: فأغرقه وجنوده في اليم.

(٥) في ب: وقتلت.

(٦) في ب: فأذلوا.

أعظم وأشق، وأكبر من كل ما يتوهم، أو يدور بالبال^(١).

﴿إن المجرمين﴾ أي: الذين أكثروا من فعل الجرائم، وهي الذنوب العظيمة من الشرك وغيره، من المعاصي ﴿في ضلال وسمر﴾ أي: هم ضالون في الدنيا، ضلالٌ عن العلم، وضلال عن العمل، الذي ينجيهم من العذاب، ويوم القيامة في العذاب الأليم، والنار التي تتسمر بهم، وتشعل في أجسامهم، حتى تبلغ أفئدتهم، ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألها أشد من ألم غيرها، فيهانون بذلك ويحزون، ويقال لهم: ﴿ذوقوا من سقر﴾ أي: ذوقوا ألم النار وأسفها وغيظها ولهبها.

﴿إننا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها^(٢)، وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير، فلهذا قال: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون كما أراد، كلمح البصر، من غير ممانعة ولا صعوبة.

﴿ولقد أهلكتنا أشياءكم﴾ من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، وكذبوا كما كذبتهم ﴿فهل من مدكر﴾ أي: متذكر يعلم أن سنة الله في الأولين والآخرين واحدة، وأن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار، فإن هؤلاء مثلهم، ولا فرق بين الفريقين. ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ أي: كل ما فعلوه من خير وشر مكتوب عليهم في الكتب القدرية ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ أي: مستطر مكتوب، وهذا حقيقة القضاء

والقدر، أن جميع الأشياء كلها، قد علمها الله تعالى، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

﴿إن المتقين﴾ الله، بفعل أوامره وترك نواهيه، الذين اتقوا الشرك والكبائر والصغائر.

﴿في جنات ونهر﴾ أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار الياقة، والأثمار الجارية، والقصور الرفيعة، والمنازل الأنيقة، والمأكول والمشرب اللذيذة، والخور الحسان، والروضات البهية في الجنان، ورضوان الملك الديان، والفوز بقربه، ولهذا قال: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم من كرامته وجوده، ويمددهم به من إحسانه ومنته، جعلنا الله منهم، ولا حرماناً خيراً ما عنده بشر ما عندنا.

تم تفسير سورة اقرت،
ولله الحمد والشكر

تفسير سورة الرحمن [وهي] مكية

﴿١- ١٣﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تظفروا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والريحان * فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ هذه السورة الكريمة الجليلة، افتتحها باسمه «الرحمن» الدال على سعة

﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا أَوْتِيَهُ كَلِمَةً بِالْبَصَرِ﴾ ولقد أفلكنا أشياكم فقل من منكم ﴿وكل من واصل في الزبر﴾ وكل صغير وكبير مستطر ﴿إن الذين في جنات ونهر﴾ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿

بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والريحان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ﴿١﴾

رحمته، وعموم إحسانه، وجزيل بره، وواسع فضله، ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية [والآخوية وبعد كل جنس ونوع من نعمه، ينبه الثقلين لشكره، ويقول: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾].

فذكر أنه ﴿علم القرآن﴾ أي: علم عباده ألفاظه ومعانيه، ويسرها على عباده، وهذا أعظم منة ورحمة رحم بها عباده، حيث أنزل عليهم قرآناً عربياً بأحسن ألفاظ، وأحسن تفسير، مشتمل على كل خير، زاجر عن كل شر.

﴿خلق الإنسان﴾ في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء، بحكم البناء، قد أتقن البديع تعالى^(٣) خلقه أي اتقان، وميزه على سائر الحيوانات، بأن ﴿علمه البيان﴾ أي: التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله به الأدمي على غيره من أجل نعمه، وأكبرها عليه، ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أي: خلق الله الشمس والقمر، وسخرهما يجريان بحساب مقنن، وتقدير مقدر،

(١) في ب: في الخيال.

(٢) في ب: خلقه.

(٣) في ب: قد أتقن الباري تعالى البديع خلقه.